

صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي ديوان جبل النار نموذجاً

Image of Jenin in the Poetry of Burhan al-Din al- Aboushi Diwan “Jabal al-Nar” (Mountain of Fire) as a Model

Najeyeh Fayez Alhmood

Associate professor/

Al-Quds Open University/ Palestine

nal-hmood@qou.edu

نجية فايز الحمود

أستاذ مشارك / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Received: 12/ 1/ 2020, **Accepted:** 10/ 5/ 2020.

DOI: 10.33977/0507-000-053-003

https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 12 / 1 / 2020م، تاريخ القبول: 10 / 5 / 2020م.

E-ISSN: 2616-9843

P-ISSN: 2616-9835

because of the Zionist occupation. He was constantly incited to resistance and struggling for the liberation of the country.

The study has concluded that Jenin was well-manifested in al-Aboushi's poetry with its religious and poetic sacredness.

The study adopts the descriptive approach when discussing the main points. It describes Jenin and its plain in the poet's diwan «Jabal al-Nar» (Mountain of Fire) and analyzes the artistic characteristics and the linguistic styles used in the poems of this diwan.

Keywords: Al-Aboushi, Jenin, Ibn Amir, Brokers, Nostalgia, Nationalism.

المخلص

تجاوز الدراسة الحالية قضية المكان المتمثل في (صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي، في ديوانه جبل النار)، في ثلاثة محاور رئيسية؛ قدمت لذلك حديثاً موجزاً عن حياة الشاعر في تمهيد مختصر، ثم وصفت الدراسة مدينة جنين في شعره، ومحاربتة الشديدة لأولئك السماسرة؛ الذين تواطؤوا مع الاحتلال الصهيوني في بيعهم الأراضي الفلسطينية، مما مهد لهم الطريق للاستيطان الصهيوني على أراضي مرج ابن عامر، فتناول البحث التنديد بالمستعمرات اليهودية التي أقيمت على أراضي مرج ابن عامر، وقدسيتها المكان - جنين - في شعر العبوشي، وحللت الدراسة بعضاً من الأساليب اللغوية الفنية التي استثمرها الشاعر لتوضيح قدسية المكان، وأظهرت بعضاً من السمات الفنية للخطاب الشعري. وعرّجت الدراسة بحثاً وتناولاً للإشادة بإخوانه العرب، ولا سيما الشعب العراقي، ودوره البطولي في الدفاع عن جنين. وتطرقت إلى شعر الشوق والحنين الذي عبّر فيه عن وثاقة ارتباطه بجنين ومرجها، بعد أن اضطره الاحتلال الصهيوني إلى مغادرتها قسراً. وخلصت الدراسة إلى أن جنين مدينة لها قدسية دينية في شعر العبوشي.

وسارت الدراسة على إجراءات المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة موضوعها، ووصفت صورة مدينة جنين ومرجها من ديوان الشاعر جبل النار، وحللت السمات الفنية والأساليب اللغوية المستثمرة في أشعار الديوان.

الكلمات المفتاحية: العبوشي، جنين، ابن عامر، السماسرة، الحنين

Abstract

The present study investigates the image of Jenin city in Burhan al-Din al-Aboushi's poetry in his Diwan "Jabal al-Nar" (Mountain of Fire) based on three areas: First, it provides a brief background of the poet's life, his struggle, his travels and movements. Then, the study moves on to shed light on how he describes Jenin city and its fight against the brokers who conspired with the Zionist occupation to sell the Palestinian territories. After this, the way was paved for Zionist settlement to expand across "Marj Ibn Amir" plain.

The study also addresses the characteristics of the Arab nationalism in al-Aboushi's poetry and the implications of his praise of his Arab brothers - the Iraqi people in particular. The people with whom the poet spent most of his alienation. Besides, they were known to play a heroic role in defending Jenin.

In addition to that, the study discussed his longing and nostalgia in which he expressed his attachment to Jenin and its plain after he was forced to leave it

المقدمة:

أهمية الدراسة

عايش برهان الدين العبوشي ظروف الاحتلال المقيتة، وشاهد ممارساته القمعية والوحشية، وتألّمت جوارحه من إجلاء المحتل للناس عن بيوتهم، وطردهم عن أراضيهم، فكان - لذلك - أثر كبير في تدفق شاعريته في حمل لواء الدعوة إلى المقاومة، والسير في ركابها شعراً ومقاومة، مما جعلت الآخرين يطلقون عليه مسمى (السيف مقابل القلم)، فقد وصفوه بأنه مناضل السيف والقلم، أو مناضل في ثوب شاعر كما قيل فيه؛ نظراً لأن شعره اختص كثيراً في شعر الدعوة إلى مقاومة المحتل، وحفل بالحث على النضال، والتحريض على قتاله.

تناولت الدراسة (صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي ديوان جبل النار نموذجاً)، وعرّفت بحياة الشاعر، وبسيرته النضالية، وتابعت الدراسة مواقفه التي حارب بها ظاهرة السمسرة والسماسرة الذين كان لهم دور كبير في بيع أراض كثيرة من جنين لليهود - على أن بيع الأرض لليهود لم يكن ظاهرة عامة، وإنما كان مقصوراً على أفراد أو فئة قليلة - وتنديده بالمستوطنات اليهودية، التي أقيمت على أراضي جنين وتلالها، وعن حضور المكان في شعر العبوشي أينما حل، فجنين وفلسطين تسكن سويداء قلب الشاعر. ومن ثم، تناولت الدراسة الحنين والشوق الذي كان يعتري الشاعر في غيابه عن جنين، وقد حرم من فرحة العودة إليها.

دفع الباحثة إلى الكتابة في هذه الجزئية سبر غور الثنائية المثيرة في حياة الشاعر وفي شعره، فهو شاعر السيف والقلم، وشاعر المقاومة والحنين والشوق والوصف، فقد أبدع في وصف مدينة جنين ومرجها، كما أنه أثرى المكتبة العربية بإنتاج ضخم، ويحتاج شعره إلى مزيد من الدراسات على الرغم من كثرة الدراسات التي كتبت عنه.

الدراسات السابقة

ومن الدراسات السابقة التي تناولت شعر الشاعر:

(برهان الدين العبوشي أديباً) رسالة ماجستير، شمس الدين غنام عبد القادر عصيد، إشراف أ.د. عادل أبو عمشة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2012 م

الاتجاه القومي في شعر برهان الدين العبوشي رسالة

شاعرٍ مناضلٍ يُضيءُ كثيرا من جوانب شاعريته في هذه الدراسة:
العبوشي من مواليد مدينة جنين في فلسطين، عام (1911هـ -
1995م). أنهى فيها تعليمه الابتدائي، ثم انتقل إلى نابلس، ودرس
قسما من المرحلة الثانوية في مدرسة النجاح الوطنية، ومن ثم،
انتقل إلى لبنان. وبدأت حركة النضال الفلسطيني فيه عندما كان
مناصرا للمجاهد عز الدين القسام في أيام شبابه المبكر، وحينما
كان يخرج مع الشباب تحريضا ضد المحتلين البريطانيين في مدينة
جنين، أو منافحا ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي رعتها دولة
الاحتلال البريطاني، آنذاك، الأمر الذي جعله يقضي شطرا طويلا من
حياته بين معتقلات الاحتلال، والشرط الآخر قضاء متنقلا لاجئا
ما بين بيروت ودمشق وبغداد: ليعمل مدرسا في مدارسها من عام
1939 - 1941م، ولم يتوقف الشاعر - على الرغم من لجوئه -
عن المشاركة في الثورات ضد البريطانيين مشاركة فعلية أو شعرية،
وعاد إلى القاهرة سنة 1945م؛ ليقدم - هناك - قضية فلسطين
في محافلها الأدبية والسياسية. وفي عام 1948م، خاض المعارك
كلها ضد اليهود التي وقعت في منطقة جنين، ثم عاد ثانية مرتحلا
إلى بغداد، وعمل فيها معلما للتربية الإسلامية واللغة العربية
في مدارسها الثانوية المركزية، وصدر له فيها دواوين شعرية
عدة (صدوق، 2000، ص123).

وغالبا ما يلجأ العبوشي في شعره إلى المباشرة والسهولة
في أسلوبه، وأن كلماته كانت مستمدة من واقع القاسي المؤلم، التي
تنصب حول الأحداث الملازمة له حيثما حل، شأنه في ذلك شأن
شعراء الأرض المحتلة الذين كثفوا التعبير عن قضيتهم المركزية،
واتخذوا من شعرهم الثوري وسيلة للدفاع عن بلادهم، ومواكبة
أحداثها، فرفعوا صوتهم عاليا، وصوروا محتهم التي عايشوها
منذ طفولتهم، والحال هنا عند العبوشي؛ إذ نظم قصائده الوطنية
بالأسلوب عينه؛ ليكون لها صدى وتأثير كبيران عند ال عامة
والخاصة من شعبه، دون اللجوء إلى الغموض في ألفاظه. وقد وجد
الشعراء القدامى مبتغاهم في هذا الأسلوب القائم على أن إثبات
ما يتصل بحرارة الزفرات يرسلها من يعاني الوجد» (السامرائي،
2002، ص122).

لقت القضية الفلسطينية عناية الشعراء العرب عامة، ولا
سيما الشعراء الفلسطينيين الذين خرجوا من رحم التجربة الواقعية؛
فحملوا على عاتقهم هموم وطنهم، ومطالب شعبهم، وتفاصيل
قضيتهم، وباتت القضية الفلسطينية محورا أساسا من محاور
اهتماماتهم الأدبية والخاصة داخل الوطن وخارجه (عباس،
2001، ص50).

امتاز العبوشي - خلقيا - بنزاهة نفسه وعتها، وسمو أخلاقه،
التي يتعالى بها عن الخضوع والتهاون مع الأعداء، ولا يسمح لنفسه
بأن يمد يده للأعداء، أو يفرط بذرة من تراب القدس مسرى النبي -
عليه السلام - وهو يعتز بسلامة دينه وأدبه وأخلاقه، وإن أخفق في
جمع الأموال، وفي ذلك، يقول (العبوشي، 1956، ص56):

كفي لأسمح بالترات البراقي؟
ما سيطرت يوما على أخلاقي

دكتورة، أحمد عبد الرؤوف جبر، إشراف أ. د. محمد علي الشوابكة،
جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2017

برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، بمناسبة مرور
مائة عام على ولادته. مجموعة باحثين / كتاب يضم أوراقا قدمها
عدد من الباحثين في الجامعات الأردنية والعربية في الندوة التي
يعقدها قسم اللغة العربية في جامعة البتراء؛ لتكريم أحد أعلام الفكر
والأدب. بقلم ابتسام محمود. تحرير د. خالد جبر. ود. نبيل حسنين.
/ الموقع الإلكتروني diwanalarab.com / برهان الدين العبوشي.

الالتزام السياسي في شعر برهان الدين العبوشي، د. زاهرة
أبو كاشك. بحث محكم في مجلة جامعة الزيتونة. والبحث من أعمال
ندوة جامعة البتراء، فهي ترى أن الالتزام السياسي عند الشاعر
ينطلق من إيمانه بحقه في أرضه ووطنه، وهو يحاول أن يبث روح
الحمية في نفوس أبناء شعبه، ويحمل همومهم ومعاناتهم.

العراق في شعر العبوشي، د. ابتسام مرهون الصفار، ورقة
علمية من أعمال ندوة جامعة البتراء السابقة الذكر. تحدثت فيها
الباحثة عن مكانة العراق في قلب الشاعر؛ ليرى فيهم (السند
الحقيقي) وقد هبوا للدفاع عن جنين عام 1948.

برهان الدين العبوشي شاعر وداعية الجهاد المقدس، حلمي
زواتي. بحث منشور في مجلة الثقافة - مجلة تصدرها وزارة
الثقافة والسياحة بالجزائر - السنة الخامسة عشرة، العدد 89،
محرم 1405هـ - 1406هـ، 1985. تناول فيه الباحث حياة
العبوشي ومسيرته النضالية من خلال أعماله. ويصرح الكاتب أن
سبب اهتمامه بالكتابة عن العبوشي هو أنه من أوائل المجاهدين
في الكلمة والبندقية.

أفادت الباحثة كثيرا من بعض الدراسات السابقة في بعض
الأجزاء البنائية لدراستها، لكن الدراسة هذه امتازت عن غيرها
بأنها ركزت على دلالة مدينة جنين في شعر العبوشي، وأظهرت
صورتها أمام المحتلين الغاصبين لها، وكشفت عن صور الدفاع
عنها فلسطينياً وعربياً، وأبان عن علاقة الشاعر القوية معها،
ورسمت الدراسة تفاصيل أمكنة المدينة، وحللت بعض صور الأداء
الفني لشعر العبوشي، ولا سيما الجوانب الدلالية الفنية.

أسئلة الدراسة:

- تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:
- ◀ ما العوامل التي أسهمت في تشكيل تجربة الشاعر الشعرية؟
 - ◀ ما معالم صورة مدينة جنين الجغرافية والاجتماعية والنضالية ومرجها في شعر العبوشي؟
 - ◀ ما المعاني الجزئية التي تطرق إليها الشاعر في حديثه عن صورة جنين في ديوانه موضوع الدراسة؟

تهديد

لعل التوطئة بحياة الشاعر وبيان دورها في بناء شخصية

إنني لأنف أن أمد إلى العدا
لو جاءت الدنيا تهيل نزارها

نفسى أعز من الجبال فلا أرى
أدبي وديني سالمين وإن أكن
أحدًا أدين له سوى الخلاق
بالمال قد منيت بالإخفاق

محاولات الاحتلال الدائمة قمع حركات المقاومة، والقضاء عليها؛ خلقت وعياً شعرياً بديعاً مرتبطاً بحركات التحرر في العالم (عباس، 2001، ص 49 - 50).

تغنى العبوشي بوطنه، الذي يشهد له التاريخ بالعرز والمجد والشموخ، ويشكل مصدر فخر لأبناء العروبة في كل زمان ومكان، وقد باعه العرب، واستوحش الغرب، وتسابقوا على مهاجمته، وهم منشغلون عنه في قتال بعضهم بعضاً، بعد أن كانت ساحاته رمزاً للبطولة والعرز والانتصار.

ويلقي العبوشي لومه على أولئك المتخاذلين السماسرة، الذين تواطؤوا مع اليهود، وسهلوا لهم سبل السيطرة والاحتلال، ولا هم لهم غير جمع الأموال، وكنز الذهب، ولكن الشاعر كان يحس بقرب المرج منه، مهما بعدت المسافة بينهما، فنراه يخاطبه غير مرة، بأداة النداء (يا) التي تستعمل لنداء القريب والبعيد وفق السياق والظروف، فيشد - بذلك - انتباه القارئ والسامع، وتتسع دلالاته، وتعكس حالة الشاعر النفسية، التي تشير إلى أن المرج دائم الحضور في ذهنه وشعره، والمسافة بينهما كانت شاسعة، وقد ألم به الحزن والشقاء من أثر هذا البعد القصري، وعبّر العبوشي عن شدة حزنه، وألمه، وتفاقم حزنه بعد أن صار المرج يصرخُ عاليًا في البكاء من الحزن والغلبة، وتحولت أراضيه اليانعة المخضرة والمزدانة بصنوف النباتات والمزروعات والأشجار المختلفة، التي يؤمها الناس للتنزه من كل حدب وصوب، إلى مرتع للمصائب والعظيمة والنكبات، وقد نزلت به الدواهي والمصائب، وسأل العذاب فيه كما ينساب الماء في الغدير، ولم يكن لذلك أن يتحقق لو كان هناك عدل في الأرض، كما يقول الشاعر في قصيدته التي عنونها بالمرج الحزين (العبوشي، 1956، ص 46):

واستأسد الغرب والشرقي يحترب
وساحة فيك يجري العز والغلب
وإنما هممه أن يكنز الذهب
من الشقاء وذا واديك ينتحب
وللعذاب غدير فيك ينسكب
يا مرجنا ولما أضناك مغتصب

عنه، ومواجهة خطوبه، والسيطرة عليه. ووصلت حدة الألم والأسى إلى قلب الأردن، وهضبة الجولان؛ فشبّه العبوشي سيلان الهموم والآلام في الأردن حزنًا على البحيرة بالمياه التي تنساب رقراقة من النهر، لكنها تسيل ألماً على ضياعه، وهو كمنز مملوء بالخيرات، والمزروعات تزدان بها أراضيه. يقول الشاعر (العبوشي، 1956، ص 47):

ينوء في حمله الأردن والهضب
يا لهف نفسي عليه باعه العرب
من خيره الأرض كم جادت به السحب

تبدو التجربة الذاتية واضحة في هذه المقطوعة الشعرية، التي عبّر فيها العبوشي عن غلبة الأخلاق ومنظومتها على المال وحبه، فلا شيء عنده يعدل الأخلاق، والأدب والدين، وهو بذلك ينمي عزة النفس ويكبرها، بما نشأ عليه؛ فالسلامة إن كتبت لأديه، وحسن تصرفه، ولدينه، فذاك ما يطمح إليه ويأمله؛ لأن من يدعم نفسه بمطالب العزة الكبيرة فلا مناص له من تحصينها بحسن الخلق، وقوة الدين، وتأدب الخطاب.

يعبر العبوشي في شعره عن عسارة معاناته وآلامه التي عاشها في بلاده، وفي خارجها، حيث بلاد الغربية التي رحل إليها؛ ليحمل معه هموم شعبه، وأماني وطنه السليب في التحرر، حيثما حل، فامتلاً شعره بمعاني النضال، ودعوات المقاومة؛ من أجل الاعتقاد من المحتلين الغاصبين أرضه، ويلاحظ أن جنين ومرجها وواديها كان لها حضور وافر في شعره، ولا غرابة في ذلك، فهي مسقط رأسه الذي ترعرع فيها، ومدينته التي نشأ فيها، وله فيها ذكريات طفولته الجميلة مع أهله وأحبابه، وكذلك، عبّر الشاعر عن صدق انتمائه لوطنه ومجتمعه الذي عاش فيه.

مجاور الدراسة:

المحور الأول: صورة جنين في شعره، ودور السماسرة في التفريط بها:

أسهمت القضية الفلسطينية في تحديد كثير من الاتجاهات الشعرية المعاصرة، ولا سيما ما ترتب عليها من آثار جليلة متمثلة في الاستيلاء على أراضيها، وشتات أهلها داخل فلسطين في مخيمات البؤس وخارجها، وما عانوه من ظلم واضطهاد، وحراب وقتل ودمار، وغارات حارقة على مخيماتها ومدنها. ولعل

مرج ابن عامر باعته مجدك العرب
قد كنت بالأمس فخرًا من مفاخرنا
يبيعه العرب لا قلب لبائعه
يا مرج ما لك تجري فيك قافلة
كأن روضك للأرزاء منتزه
لو كان في الأرض عدل ما رزئت بنا

ويذكر أن مصائب شتى كانت قد حدثت في المرج وما حوله، وتفاقمت شدة وسوء، وامتدت بأثر سلبي من تجار الأرض أو السماسرة للمحتلين، إلى أن وصلت بحيرة الحولة شمال المرج؛ «حيث اشترى اليهود قسماً كبيراً من أراضيها العظيمة الخصب» (العبوشي، 1956، ص 47) واستعصى الأمر على من حوله للدفاع

سلوا (البحيرة) عن خطب ألم بها
يسيل أردنها بالهم مكتتباً
باعوه بالمال وهو الكنز كم حملت

بها السلامة، فحسن الذكر يراها العبوشي هبة من الله - سبحانه وتعالى - يمنحها لعباده المخلصين. فيقول الشاعر في ذلك: (العبوشي، 1956، ص47)

ويخلدُ الذَّكْرُ والرَّبُّ الذي يَهْبُ

منه على الخزي والعار من جراء أفعالهم الشنيعة، نستشف ذلك من استعماله لكلمة (مرغ)، التي تحت الإنسان على التمسك بتراب الوطن، فليدسوا رؤوسهم بترابه، ويخروا ساجدين عليه، وليسيروا عليه برفق وخشوع دون خوف أو وجل، ولتعلو أصواتهم رفضاً واحتجاجاً على المحتل وأفعاله، ويستلهم الشاعر التراث الديني في تناصه مع قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: 21)، هذا التراب الذي يحتضن في جنباته جنائمين المناضلين الشهداء الأحرار، الذين يشهد التاريخ لهم بالتضحية والفداء. وفي ذلك تعظيم لمكانة فلسطين وقدسيتها، حين يطلب الشاعر من الفلسطيني أن يسجد شكراً لله أن اصطفاه بفلسطين وطناً له، وأن يمشوا بتواضع على تراب أرض جبل بدماء الآباء والأجداد. (عصيدة، 2012، ص174)، وفي ذلك يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

واسجدُ فإنَّ الله في محرابه
فقد مشيت على رفات عرابه

مياها العذبة، وهو أمانة في أعناقنا، ويحذر من الخيانة وعواقبها الوخيمة، وما تجرّه من ويلات على أصحابها، أولها غضب الله - سبحانه وتعالى - ثم فقدان للنخوة والشهامة، والمروءة والكرامة التي ترعرعت بهم أصلاً على تراب هذا الوطن، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

رواك من أكوابه ورضابه
باع الأمانة فاكتوى بعذابه
بعث الكرامة أينعت بجنابه

الوجدانية للشاعر، وأثرها عليه، فيلجأ إلى التشخيص حين يشبه الذل بطائر ذي جناحين مخفوضين يعكسان أهمية الوطن، وانتماء الشاعر له والاستسلام لحبه. (عصيدة، 2012، ص175 - 176)

ويحث العبوشي الشعب على التمسك بالوطن، والصبر على الشدائد، وعدم هجره وقت الشدة، وقد أكلوا من خيراته، ثم تخلوا عنه وراء متاع قليل، وهان عليهم ما يحدق به من أخطار، فكانوا كالجواد الذي يهرب من صاحبه عند كبوته، وارتضوا بالذل الشنيع والهوان والعيب لأنفسهم، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

وتشيحُ عنه إذا الجواد كبا به
ورضيت بالذل المشين وعابه

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراهم والأموال لا مناص - يوماً - فانية؛ إذ لا خلود إلا لله تعالى، وطيب الذكر باقٍ أثره، على مرّ السنين والتاريخ، والنفس السيئة هالكة لا محالة، وإن طالت

المال يفنى ونفس السوء فانية

وكان العبوشي قد صور جراح الوطن، وما حلّ به وبأهله، بدءاً من نكبة فلسطين وتشريد أهلها، جرحاً للكرامة العربية والمجد العربي، الذي يرفض الذل حتى من أخيه العربي، فكيف يمكن أن يرضى به من المستعمر الظالم، وليست جراح الإنسان بعيدة من هذه المعاني، كذلك، إذ إن أي ضمير إنساني، وأية شرعية دولية، أو أي قانون عالمي، لا يرضى عن احتلال أجنبي لأرض شعب آخر، وتشريده وسلب حقوقه. (عراق، 2000، ص94)

دور البناء الفني واللغوي في رسم صورة احتلال مدينة جنين:

يلحظ أن العبوشي في قصيدته (الوطن المبيع) كان قد استلهم بأسلوب الأمر، الذي يدل على قلق العبوشي من قضية السمسرة؛ لأن القصيدة تحمل في طياتها خطاباً مباشراً للمتخاذلين السماسرة الذين مكّنوا اليهود من الاستيلاء، والسيطرة على أرض فلسطين عامّة، وأرض جنين ومرج ابن عامر الطاهر المقدس خاصة، ويقول: ليدق هؤلاء رؤوسهم، أو يمرغوها في التراب تأكيداً

مرغ جبينك في طهور ترابه
وامش الهوينى خاشعاً متصدعاً

ويلحظ أن أفعال الأمر التي وظفها العبوشي في القلق الذي انتابه من أفعال السمسرة، تدل على الحركة «مرغ، امش، اخفض، احذر»، مما يشير إلى أن قلقه في حال حركة وتزايد، فسار الشاعر في خطابه المباشر بصيغة الأمر في قوله: (واخفض جناح الذل) وفي خفض الجناح إشارة إلى الخشوع لهذا الوطن، الذي ارتوى من

واخفض جناح الذل للوطن الذي
واحذر عذاب الله لا تكن الذي
إن بعثها بعثت السماحة والندى

يستثمر العبوشي إمكانات التناص الديني مع النص القرآني في الآية الكريمة التي تحت على برّ الوالدين، مما يعني أن علاقة الوالدين من الأهمية بمكان أن ترتبط بعلاقتنا بالأرض، وهو بذلك يجعل الحفاظ على الأرض كالحفاظ على الوالدين، كما قال تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ (الإسراء: 24).

وينوع الشاعر في قوله (واخفض جناح الذل) بين الصور المعنوية في كلمة (الذل) والصور المادية البصرية للمسية وهو (جناح): «ليرسم لنا صورة طبيعية متحركة، تكشف عمق الحالة

أتعزّه لما حباك بخيره
أسفاً عليك خرجت عن سنن التقى

ويظهر احتقار الشاعر لهم في تشبيهه لهم بالذباب، حينما فرطوا في أوطانهم، ويسمرون تارة، وينشقون عن أحسابهم وأنسابهم تارة أخرى، فهم لا يعرفون النخوة ولا الشهامه، وإلا لما قدموا على فعلتهم، واتسموا بالندالة والخيانة، فلا يؤمن جانبهم، ويتضح أسلوب التهديد والوعيد في لهجة الشاعر، حينما يرى أن يوماً ما لا بد من أن يأتي، وينال فيه الأندال عقابهم، ما دامت الجراح تنزف ألماً وحزناً، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50 - 51)

مجبولاً بالدم، ما جرى لصوابه!
فأصون نفسي عن جنون عتابه
أخني عليها دهرها بذبابه
ترك الغزاة الصيد من أحسابه
لارتد من فزع على أعقابيه
فغداً يلاقي النذل كل عقابه

(2012، ص198)، كي لا تتكرر مأساة العرب في الأندلس.

ولعل ظاهرة السمسرة من أكثر القضايا الوطنية المسببة للقلق عند العبوشي، فنراه لا ينفك عن لوم هؤلاء السماسرة، الذين فرطوا بوطن ترعرعوا بين جنباته، واحتضنهم بقلبه كالأم الرؤوم التي تحتضن جنينها، وأصبح مهموماً ذليلاً، وقد أغار عليه الموت من كل جانب، وأذاق السماسرة الوطن النذل والهوان، وأقسى صنوف العذاب، وشردوا أهله، وجردوه من أثوابهم، حينما ذلوا الطريق أمام المحتل الغاصب؛ ليتمكنوا من السيطرة عليه واحتلاله. ويحاول الشاعر أن يربط الماضي بالحاضر من خلال استلهامه لمأساة المسلمين في الأندلس، فتتعلق النصوص تناسلاً لتختزل تاريخاً كاملاً في مأساة العرب بالأندلس من خلال هذا التناسل التاريخي. يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص51)

فابذل له تلحقه قبل نهابه
أضحى يسام الخسف من أحبابه
قد جردوا العربي من أثوابه

مكبلٌ مقيدٌ، وفي أفاظ الشاعر: مشدود/ أوتاد، إشارة إلى شدة الغيظ في قلبه، وإلى تمكن الأعداء ورسوخهم في الوطن، كالوئد الذي شد قيده وتكبله، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص83)

وأرضنا دُرُها الآلاء للعبادي
وابن العروبة مشدود بأوتاد

بالغراب الذي ينعقُ خراباً وفساداً، ويدلُّ على التشاؤم عند العرب، وهو نذيرٌ للفرقة والسوء والمصائب، وكأن هؤلاء فقدوا إحساسهم، وخرجوا عن ملة البشر، وهان عليهم صنيعهم، وصارت قلوبهم كالأخشاب في قساوتها، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص54)

ولا يدري الشاعرُ ما الذي أصاب هؤلاء السماسرة؟! وما الذي دفعهم إلى ارتكاب هذا الجرم الشنيع؟ وكيف يتجروون على بيع تراب الوطن الذي جبل بدم الشهداء وتضحياتهم للذود عنه وحمائته؟ فهل أصابهم الجنون؟ ويتمنى لو حصل ذلك؛ ليكف الشاعر عن لومهم وعتابهم.

وتبدو حيرة الشاعر في أمر هؤلاء السماسرة واستنكاره لأفعالهم، حين يجيب بنفسه عن تساؤلاته، ويرى أن مصائب الدهر ونوائبه، قد وقعت على وجود هذه الأمة وعلى أرضها،

ولقد عجبت لمن يبيع ترابه (الـ
هل جن يا ليت الجنون حليفه
كلاً فقد ألقى هنالك أمة
فمضى يسمسر تارة ويبيع ما
لو كان يعلم في الشباب حمية
لا يأمن النذل طول أناتنا

ويتابع العبوشي استثمار الإمكانات الأسلوبية؛ فيوظف التناسل التاريخي مع أقوال الشعراء في استحضارهم التاريخ، ويعقد مقارنات تاريخية عليها تجد له تفسيراً مقنعاً ومريحاً لما يحدث مع القضية الفلسطينية، فيرى الشعراء منطلقين في ذلك من شدة الحزن الذي يستولي على مشاعرهم وذعرهم من نزول الكارثة، وقد شعروا بضياح مجدهم وأوطانهم؛ ليطل عليهم شبخ مأساة الأندلس، وضياح مجدها، وتصبح مصدر إلهام للشعراء، يستكشفون منه وأقنعهم (ياغي، 2001، ص304) فالأندلس غنية بالدلالات والرموز التي تستثير وجدان أبناء الأمة، وقد تهالك زعمائها على السيادة؛ فأهلكوا أنفسهم وشعبهم في استيلاء الإسبان عليها. والشاعر إذ يستحضر ماضي العرب ومجدهم في الأندلس، وذلك لبيت في شعره العبرة والحكمة؛ ويوجه نداءه إلى الزعماء العرب، بتوحيد جهودهم، وتكاتفهم؛ للوقوف في وجه الاستعمار (عصيدة،

ما مس أندلساً يمسك مثله
وطن حواك بحاضنيه وقلبه
قد شردوا العربي عن أوطانه

قلت قيمة البشر في بلادنا، بل أصبحوا دون ثمن ولا وزن، حتى صاروا يباعون ويشترون سلعا رخيصة، واستولى الأعداء على أراضينا، وكنوزها الثمينة، والصهيوني (ابن شالوم) ارتفع شأنه وعلا قدره؛ ليصبح سيداً علينا حراً طليقاً، والعربي ابن الوطن

بتنا نباع ونشترى سلعة رخصت
حتى ابن (شالوم) صيرناه سيدنا

وفي قصيدة للشاعر ألقاها في مهرجان صندوق الأمة العربي في بيسان سنة 1944م، بعنوان (بيسان قبل ضياعها) يشير فيها إلى سمسرة بيع الوطن، يتحسر فيها على هدمهم هذا الوطن الذي خلا من أهله وأصحابه، ليعيث فيه المحتل فساداً، ويشبههم الشاعر

أضحى يهدمه بنوه فحسرةً فكأنما قد شيد للغربان
وكأنما السمسار ليس به دم وكأنما هو نطفة من زان

طائرُه بعيداً، وأطاحَ به أشدَّ أنواع البلاء، يظهرُ ذلك في قصيدته التي مطلعها: (العبوشي، 1956، ص44)

وقائده ناءٍ وناديه مبتلى

فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص44)

سنقلب فيها الظلم والشر أسفلاً

يملكون نوايا حسنة، وهم يقولون ما لا يفعلون، إلى أن تمكنوا من السيطرة على البلاد والعباد، ونالوا منهم أكثر مما كانوا يأملون، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 44)

بحسن نوايا الغادين تعلأ

لقد نال منا الخصم ما كان أملاً

ويختمُ العبوشيُّ موقفه من ظاهرة السمسرة والسماسرة بأن يصدر بحقهم عقوبات شديدة صارمة في هذه المقطوعة الشعرية، يظهرُ فيها نغمته القوية عليهم، فقد جعلهم خونة، وألصق بهم أوصافاً أخرى فيها تعبيرات قوية الدلالة، تدعو إلى محاكمتهم ومعاقبتهم، وزجهم في السجون، وإن ضاقت بهم، وتعذيبهم حتى الموت، ولعل استعمال صيغة فعل الأمر نحو: حاكموه، أو ثقوه، احشروا، انعكاسٌ جليٌّ لحالة الشاعر النفسية والمتوترة والقلقة والمستاءة من الباعة الخونة والمتخاذلين مع الأعداء، ويتساءلُ العبوشيُّ في قوله: كيف لهم أن ينجوا من العقاب، وهم الخائنون لوطنهم، وسوء طباعهم، وتفريطهم بأوطانهم، وخيراتها الثمينة، يقول الشاعرُ في قصيدة له بعنوان (حاكموا باعة فلسطين): (العبوشي، 1956، ص91)

واحشروا في السجون كل خوون

من عذاب وجرعة من منون

باع أوطاننا وكل ثمين

والمقدسات المسيحية فيها بمال بخر، وقد شبه المال الذي قبضه السماسرة ثمناً للقدس (المسجد الأقصى وقبة الصخرة) ومقدساتها (كنيسة القيامة) بالحية الرقطاء القاتلة، وهي من أخطر أنواع الأفاعي، وأن هذه الأموال هي من أخطر الأموال، ويصرخُ الشاعرُ بأعلى صوته - حتى أنه انقطع وبُح - مستنجداً بشباب الوطن، ولكنهم لم يلَبُوا النداء، وكأنَّ أذانهم صماء، ولم يسمعوا شيئاً، يقول العبوشيُّ في قصيدته (الوطن المبيع): (العبوشي، 1956، ص54)

ويوجهُ الشاعرُ نداءه إلى الشعب الفلسطيني، يدعوهم إلى الوحدة ولم الشمل، في ظل ظروفٍ خلا فيها الحي من أبطاله، ونأى

تعالوا نضم الشمل فالحيُّ قد خلا

يدعو الشاعر إلى الوحدة والتوحيد قوة ومنعة واتحاداً؛ لصد الأعداء، وقلب الظلم والاستبداد والشر إلى أسفله، لا بل إلى إنهائه،

تعالوا ففي التوحيد يا قوم قوة

ويتابع العبوشيُّ حديثه في مخاطبة أهله وبنو قومه بأن يفيقوا من سباتهم، بالاكتفاء بالرجاء والتعلل الكاذب لنوايا المغتصبين أرضهم دون الفعل، ودون إشعال المقاومة، ومحاربة أطماعهم، وأن يبتعدوا عن حسن الظن في المحتلين، الذين لا

أيا بني قومي كفانا رجاؤنا

فلا خير في من كذب الفعل قوله

ويستندُ العبوشيُّ في بناء موقفه الراض لوجود الاحتلال، إلى موثيقٍ دولية رافضة أشكال احتلال أرض الآخرين كلها، فأخذ يصورُ جراح وطنه السليب، وينشر ما نزل بأهله من تشريد وقتل وجراح وتدمير، ووصف نكبة فلسطين وتشريد أهلها جرحاً نازفاً للكرامة العربية، ومرضا عضالاً أصاب المجد العربي، فالعبوشيُّ يرفض الذل من الأخوة العرب، فكيف يمكن أن يرضى به من المستعمر الظالم، وليست جراح الإنسان بعيدة من هذه المعاني كذلك، إذ إن أي ضمير إنساني، وأي شرعية دولية، أو أي قانون عالمي لا يرضى باحتلال أجنبي لأرض شعب آخر، وتشريده وسلب حقوقه. (عراق، 2000، ص94)

حاكموه وأوثقوه حبلاً

فإذا ضاقت السجون فسوط

كيف ينجو من العقاب لئيم

التنديدُ بالمستعمرات الصهيونية التي أقيمت على أراضي جنين:

يتألمُ الشاعرُ على ما أصابَ أراضي مرج بن عامر، وقد سلَبها الاحتلال، وأقاموا عليها المستعمرات؛ ليجعلوا منها وطناً قومياً لليهود المشتتين في بقاع الأرض، ويدعوا بأنهم أصحاب الأرض، وأن أهلها دخلاء غرباء على أرضهم. وتم الاستيلاء على المرج، ولم يبق منه لأهله وأصحابه غير الانفراج الذي تجري فيه المياه تحت الأرض، وبقعة جرداء قاحلة لا نبات فيها، حتى أنهم باعوا القدس مسرى النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -

أنظرُ إلى المَرَجِ الفسيحِ فكله مستعمراتُ أهلها دُخلاء
لم تبقَ للعربيِّ فيه بقيةٌ إلا الشعابُ وبقعةٌ جرداء
بيعَ المسيحُ وبيعَ قدسُ محمدٍ بالمال وهو الحيةُ الرقطاء
قد بَحَّ صوتي في الشباب كأنهم لم يسمعوا أم أذنهم صماء

ويرى الشاعرُ أن الموتَ أهونَ علينا من أن تحوّلَ أراضينا إلى مستعمراتٍ يجوبُ فيها الأعداءَ بحريةً، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 119)

إن كان لا بدُّ أن تبقى مواطننا مستعمرات فإن الموتَ قد هانا

سيطرَ الأعداءُ على المَرَجِ وخيراته، ولم يبقوا لأصحابه غيرَ الأعشابِ التي تنبتُ في قاعِ المَرَجِ وترعاها قطعانُ الغنمِ، ويشبه الشاعرُ أصحابَ الوطنِ بالأسودِ المهْدَدَةِ غاباتها؛ ليكونَ الموتُ فيها أفضلَ لها من هذا العيشِ، يقولُ الشاعِرُ: (العبوشي، 1956، ص 51)

ماذا تبقى غيرَ قاعِ أجردٍ نرعى من القطعانِ من أعشابه
لهفي على الليثِ المهْدَدِ غابه قد كان أجردُ أن يموتَ بغابه

المقدس. (ياغي، 2001، ص 15) وفلسطين بعامة، وجرين وقراها خاصة، دائمة الحضور في قلب الشاعر يحمل معها حيثما أتجه، ويتوقّع، ويحسُّ بالخطر الذي يحدِّقُ بها من كلِّ صوب، ويستشرفُ المستقبلَ المظلمَ الذي يهددُ كيانها ومحيطها: جنين وبيسان والسيلة الحارثية وقرية زرعين (www.palestinermembered.com/ginin/zirin/story)، التي كان يُطلقُ عليها عروسُ مَرَجِ ابنِ عامر، بل أطلقَ الاسمَ زرعينَ على المَرَجِ وقتاً طويلاً، وهي ذاتُ موقعٍ استراتيجيٍّ مهمٍّ متوسطِ قريٍّ ومواقعٍ عدة، تحيطُ بها من الجهاتِ الأربع، جنين والعفولة وبيسان.

يعيشُ الشاعرُ حالةً من الخوفِ والقلقِ الدائم - التي تهتزُّ لها مشاعره - خوفاً على جنين وقراها، بعد أن أحسَّ بقربِ الجلاءِ عن الوطنِ، وخطرِ المحتلِّ الغاصبِ، دونَ أن يَأبَهُ بما يفعلُ، وهو يعيشُ حالةً من الطربِ، وهي صفةٌ مشبهةٌ من طربِ، تدلُّ على ثبوتِ الحالِ، يُستدلُّ منها على وضعِ الشعبِ الفلسطينيِّ المأساويِّ مقابلَ حالةِ الطربِ والانتعاشِ التي يتمتعُ بها العدوُّ المحتلُّ؛ لشعورهم بالانتصارِ وإمكانيةِ السيطرةِ على جنين ومحيطها، ويكثرُ الشاعِرُ من استعمالِ الفعلِ المضارعِ في شعره، ولا سيما في نهايةِ أبياته الشعرية لتدلُّ على التواصُلِ الذي يوحي باستمراريةِ التنكيلِ والسيطرةِ وتدرجها وتطورها تطوراً سلبياً. وتحملُ تعابيرُ الشاعِرِ في طياتها معاني الحزنِ والخوفِ والقلقِ من الوضعِ المائلِ، والحركةِ المقلقة، ومثال ذلك: تضطربُ، أنذرنا، الجلاء، ويختارُ العبوشيُّ قريَّ محيطيةً لجنين مثل: زرعين، وبيسان... أقيمت فيها المستعمرات اليهودية. فوراء كلِّ مكانٍ حكاية احتلالٍ واستيطانٍ وتهويدٍ، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 46)

(وسيلة الحارثي) اليومَ تضطرب
به الدخيلُ ويبقى سادر طرب

فالأحداثُ الجلييلة، والأماكنُ العديدة، واقترانها بالزمنِ الواقعيِّ، ووصفُ الحِالةِ النفسيةِ التي كابدها الشعبُ الفلسطينيُّ بعد أثرِ الانتدابِ البريطانيِّ والاحتلالِ الصهيونيِّ، تعدُّ - في مجملها - ملامحَ كاشفةٍ عن قوميةِ المنهجِ، وواقعيةِ التجربة، وقد غلبَ عليها

المحور الثاني: قدسية المكان - جنين - عند العبوشي:

وللمكان - عند العبوشي - حضور فاعلٌ كما اتخذهُ الشعراءُ الفلسطينيون صوراً مثاليةً وإنسانيةً، فأعادوا صياغته الفنية في رؤيةٍ جديدة، وتجاوزوا بها المساحةَ الجغرافيةَ المجرّدةَ للأماكنِ إلى كونها تشكيلاً روحياً ووجدانياً يخرُجُ بالحركة والحياة، فاستنطقوها ونقلوا أحاديثها، وتاريخها عبر أشعارهم، فكانَ ذلكَ تعويضاً نفسياً لافتقارهم فلسطين (النواة) الطبيعية، ومدنها وقراها وشوارعها. وهو دائماً يعقدُ ثنائياً شعريّةً ذاتَ أواصرٍ بين الزمانِ والمكانِ، لعل ما يشهد على ذلك، وصفه لنكبة عام 1948 والقرى الفلسطينية التي حدثت فيها المجازر الصهيونية؛ ليشكّلَ منهُما لوحةً فنيةً مؤثرة، ويؤكدُ دورَ المكانِ والزمانِ في الشعرِ الحديثِ إحسانَ عباس في قوله: إنه بعد سنة 1908 م أصبح ارتباطُ الزمنِ بالمكانِ أمراً ضرورياً في أدبِ القرنِ العشرين. (عباس، 2001، ص 68)

أولى الشعراءُ الفلسطينيون المكانَ اهتماماً كبيراً؛ لأنه يشكّلُ -المكان / الأرض - أساس الصراعِ بينه وبين الاحتلالِ الصهيونيِّ، فعمدوا إلى وصفِ المكانِ؛ لارتباطهم به روحياً ووجدانياً؛ ليجدوا في وصفه والحديثِ عنه متنفساً للتعويضِ عن فقدانه، والبعدِ عنه. «فالأمكنة ليست رقعاً جغرافيةً مجردةً في حدودها، ولكنها عناوين تختزلُ مشاهد تاريخ الشاعر المتشكّل من الغربية، واصطراع الهموم داخله» (نقاز، 2019، ص 6)

وفي هذا السياق، كثرَ تردّدُ أسماءِ مدنِ فلسطين وقراها في مسيرةِ التراثِ العربيِّ والإسلاميِّ، عندَ المؤرخينَ والأدباءِ والمحدثينَ الذين كانوا يتعمّدونَ زيارتها، ولا سيما زيارة بيتِ

جنين (زرعين) (بيسان) مهددة
إنَّ الجلاءَ على الأبوابِ أنذرنا

الإشادة بالعراقيين ودورهم في الدفاع عن جنين:

اتضحت طبيعة الرؤية الشعرية التي يتبناها العبوشيُّ ويعملُ فيها، من خلال ما مرَّ ذكره، فهو شاعرٌ وطنيٌّ قوميٌّ واقعيٌّ؛

تشرّد عن أهله» (العبوشي، 1956، ص 67) يشيدُ فيها الشاعرُ بشعب العراق الذي يتميّز عن بقية الشعوب بالعرز والمجد والكرامة، ويتفوقُ عليها بالخير والشهامة، وهم أملُ الشاعر ومبتغاه، وشكّلوا له الأمن والأمان والطمأنينة؛ فكانوا كالوالد الذي يحنو على ولده، وقد ملؤوا عليه حياته، وعوّضوه في غربته عن أهله، وكأنّه يقيمُ في وطنه (جنين) بين أمّه وأبيه وأحبائه، وطلاب الشاعر كأنهم أبنائه، وزملاؤه هم سندٌ له كإخوته، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 70)

على الوجود ففيها الخيرُ قد وُثِدَا
فأنتم والدّي فاقبلوا الوُدَا
ووالدي وحبیب القلب ما بعدا
وإخوتي، زملائي إن أرمُ سندا

إلى سامراء، ويجدُ فيه بديلاً وتعويضاً عن وطنه، لما امتانَ به أهلها من كرم، وخلال حسنة نبيلة، وهو بذلك ينتصر على من اتهمه، بأنّه ناظمٌ ومغبون، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 79)

في (جنين) وما قنعت
سيطر فارتحلت
وقد بذلت وما ندمت
رمات وقد ربحت
ن فيها فانتصرت
زعموا بأنّي قد غبنت

ولذلك، يرى أن الحياة العربية وقيمها المورثة انقلبت إلى ضدها؛ فبدلاً من أن يكون العربي مصاناً محترماً في بلده ومن إخوته العرب، أصبح الأجنبي مقيماً ومرحّباً به في بلاد العرب. وفي ذلك نجده يقول:

بكي عليّ فلا تعجب لأحقادي
والأجنبي مقيمٌ بين أكباد

تجربته الشعرية الجمالية في قصيدة فنية محكمة، وينهل الشاعرُ من التجارب العامة؛ ليغذي تجربته الخاصة، ويتوقف نجاح الشاعر في نظمه على مدى انخراطه في الواقع الذي يعيش فيه، ومقدرته على الاعتراف منه. (الصباغ، 1998، ص 127 - 128).

عُرف العبوشي بمخاطبة الزعماء والأمراء والسياسيين العرب يحثهم على مساعدة الشعب الفلسطيني على استرجاع أراضيهم المحتلة، وظهر ذلك في قصيدته التي عنوانها بـ (الأمير في جنين) نظماً بعد معركة جنين عند استقبال الأمير عبد الله وصي العرش في العراق، يطلبُ منه العبوشي بالسماح للجيش العراقي في التقدم حتى البحر، ويتمنى الشاعر لو أن الأمير زارهم في مناسبات سعيدة

الفكر القومي العربي، من خلال تعبيراته الكثيرة عن حبه الصادق للدول العربية قاطبة، وتقديره وإجلاله لها، ولا سيما تلك التي ارتحل إليها - الشام، ومصر، والعراق - وأقامَ فيها وقتاً؛ ليظهر وفاءه وإخلاصه للبلد وأهلها، وكانت كلها (جنين) بالنسبة له، وهي رمزٌ للعلو والمجد، وإعلاء بطولة العربي، وسماحته، وشجاعته، ونخوته، وشهامته، وقت الشدة والحاجة ضرورة يتطلبها نهجه الشعري. وفي قصيدة للشاعر بعنوان (سألهم الأرض) نظمها الشاعر أثناء إقامته في العراق، مصرحاً بأنه نظمها «على لسان كل فلسطيني

فدجلة وفرات العزّ قد فخرَا
إن قلت فيكم قصيدي قلته أملاً
كأنني في (جنين) بين والدتي
فإن طلابي الأبرار هم ولدي

عاش الشاعرُ في جنين مرفوع الرأس، معروفاً بمكارم الأخلاق، إلا أنه ضاق زرعاً بما أصاب بلاده، من سيطرة الأعداء، الذين شبههم الشاعر بالطاغوت؛ لشدة طغيانهم وظلمهم وضلالهم، واعتدائهم على أراضي فلسطين وأهلها؛ ليغادرها الشاعر متوجهاً

ولقد بلغت ذراً المكارم
ولقد رأيت هنالك الطاغوت
لأعود مرفوع الجبين
ونزلت (سامراء) أمّ المك
إنني ربحت أخوة الإيما
نعم انتصرت على الألى

يتألم الشاعرُ - بحرقه - من أبناء العروبة الذين أغمضوا عيونهم عما أصاب الشاعر من آلام شديدة بعد احتلال اليهود لوطنه، فأخذ يبكي عليهم؛ لأنه لم يجدهم عرباً مناصرين لقصيته ولأهله؛ فأكثر من البكاء عليهم لما وجد منهم اللامبالاة، وهم لم يذرفوا دمعاً واحدة على وطن الشاعر القابع بين براثن الاحتلال،

كَمْ ذا بكيت على قومي فما أحدٌ
اليعربي غريبٌ بين إخوته

وصف أحد الباحثين العبوشي بأنه مناضلٌ في ثوب شاعر، وهو حلقةٌ من حلقات جيل المقاومة في زمانه مثل: غسان كنفاني، وهارون هاشم رشيد، وعبد اللطيف عقل، وغيرهم، ويرى أنّ من الصعب أن نفصل بين العبوشي الشاعر والمناضل، فحياته كانت مليئة «بالشعر المفعم بالمقاومة، والمقاومة المملوءة بروح الشعر» أثرى المكتبة العربية بأدب المقاومة، حتى قال له الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات حينما قلده وسام التكريم: «أنت أستاذنا في الوطنية والجهاد... ومنك نتعلم».

وتولد القصيدة عند العبوشي من تفاعله مع واقعه وما يحيط به، ومدى انعكاس ذلك عليه؛ ليصوغه الشاعر في شعره مبرزاً فيه

إطلاق جيوشه للإطاحة باليهود، والنذل والعار لنا إن أقام صهيون
في ساحاتنا، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 71 - 72)

حبذا لو زرتَ في اليومِ السَّعيدِ
يا حفيدَ الصيدِ من خيرِ جدودِ
عن جنينِ كيفَ ثرنا كالأسودِ
أطلقَ الجيشُ يطوِّحُ باليهودِ
دولةً يا ذُلُّنا بعدَ صعودِ

وفخرٌ ومجدٌ لجنينِ وأهلها، فإن لم يكن النصر في جنين كاملاً الآن،
فلعله يكون حليفكم في الأيام المقبلة، ويلقي الشاعر لومه على
الدول العربية التي وقفت مكتوفة الأيدي تجاه ما حل في فلسطين،
فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 105)

فإنما الناسُ في دنيا الهوى سلغُ
للمستعدِّ وويلُ العربِ إن هجعوا
فالنقصُ هذا على دولتنا يقع
بكم (جنين) وفي الأيام متسع

فكانوا كجيش سعد ابن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وصلاح
الدين الأيوبي؛ فزادت بهم حماسة الشاعر، وعلت ثورته، دون أن
يوقفه - عن ذلك - جرحه، الذي ألم به عند السير والمواجهة في
المعركة، يقاتل مع إخوته العراقيين متناسياً همّه وعذابات جراحه،
والمصائب التي لحقت بوطنه، فأخذوا يقاتلون العدو كالأسود
الصلبة القوية، وكان لحضور الجيش العراقي ومشاركتهم في الدفاع
عن جنين وقع كبير في نفس الشاعر، وأثر فاعل في تخفيف آلامه،
ويقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 64)

وصلاحُ في حسرةٍ واكتئابِ
وإذا بالبشيرِ فوقَ الهضابِ
قال جيشُ العراقِ زَيْنُ الشَّبابِ
جيشُ ربِّ السَّماءِ ربِّ الكتابِ
أحملُ الجرحَ تحتَ طَيِّ ثيابي
نسيتُ الأذى وهولَ المصابِ
رَ لجنَدِ العراقِ والأحبابِ

العنين إلى الوطن:

الإخراج عنوة من الوطن أمرٌ جللٌ للإنسان، وأدلُّ على ذلك
قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد
أخرجنا من ديارنا﴾ (البقرة: 246) فيلحظ منه أنه - جل جلاله -
قرن الخروج عن الوطن كرها بضرورة القتال الجماعي من أجل
العودة إليه، وتظهر دلالة المشاركة في الآية القرآنية في الصيغة

غير هذه المناسبة - ويرحب به - ويعلي من شأنه، وشأن أجداده،
ومن شأن جنين القسام التي تشهد تلالها وأراضيها على بطولة
أبنائها؛ ليشبههم الشاعر بالأسود في شجاعتهم، ويحث الأمير على

زرتنا والناسُ في كربٍ شديدِ
مرحباً بابنِ عليٍّ مرحباً
اسألوا هذي الروابي حولكم
حدُّنا البحرُ فلمْ نبقي هنا؛
إن يَقمُ صهيونُ في ساحتنا

وفي قصيدة (معركة جنين) يستنجد الشاعر بالجيش العراقي،
وفرسانه الشجعان؛ لنصرتهم فهم أهل النصر والنخوة، ويحثهم
على الاستعداد للتصدي والمواجهة لأعدائهم، ويحثهم على التفخروا
بما صنعتم لما لبيتهم نداء أهل فلسطين؛ لنصرة جنين، فأنتم رمز

يا أسدَ بغدادَ زيدوا في جحافلكم
تحفّزوا واستعدوا فالحياةُ غدتُ
إن كانَ حظكم في النصرِ منتقصاً
فحسبكم نصر (جنين) فقد فخرتُ

يستلهم الشاعر الشخصيات التراثية؛ إما بإشارة سريعة أو
استدعاء موقف الشخصية، ومن ثم بناء قصيدته معها، وقد يجري
بعض التغيرات في مواقفها، أو يتعارض معها؛ ليوسع دلالاته،
ويثري النص الشعري. (الصباغ، 1998، ص 404) كانت (معركة
جنين) حامية الوطيس، اشتدت المعركة، وفقد الأمل في النصر
والنجاة، رغم استبسال الجند الفاتح، وحسن استعدادهم وقوتهم،
لتزف البشرية للشاعر، وتترأى لهم من فوق التلال المرتفعة
كتائب من الفرسان الشجعان العراقيين، تهب لنجدهم ونصرهم.

بينما الفاتحون عمرو وسعدُ
بينما الناسُ بينَ هذا وهذا
فتساءلتُ مدنفاً ربَّ من ذا
جيشُ سعدِ وخالدِ وصلاحِ
فتشَّهدتُ ثم ثرتُ وإنِّي
ونسيتُ العذابَ والهَمَّ والغَمَّ
مذ رأيتُ الوجوهَ تبسَّمُ بالبش

فهم العبوشي التناص على أنه استجابةً للتراث العربي بقدر
وعيه الثقافي والشعري لماضيه؛ فيخلق تفاعلاً بين نصّه والموروث؛
فيوسع أفقه ودلالاته. (الصباغ، 1998، ص 368): للتأثير في
مواقف الآخرين خدمة لقضيته المركزية، والقدرة على توضيح
موقفه من قضيته للآخرين، بوصفه إنساناً فلسطينياً وشاعراً، ولا
سيما الأخوة العرب؛ لأنه يرى فيهم السند القوي، والعزوة الناصرة
لحقوق الشعب الفلسطيني السليبة.

القريبة منه، مترنماً على حمام مرج ابن عامر المدلل، تتمايل مترنحة بكل خفة ودلال، ورقّة وإجلال على أغصان الأشجار في الفنن، يظهر ذلك، - في أول بيت شعري كان قد نظمته، وهو في المدرسة الابتدائية بعد زلزال نابلس سنة 1927م- في قوله: (شراب، 2005، ص74)

وترنحي نشوى هوى بدلال
وترنحي بعذوبة وجلال

المشاعر في قوله: (يحتسي كأس الهنا)، وكأنّ الهناء في حياتهم يُحتسى كما كأس الماء، الذي يشكل مصدراً من مصادر حياة الإنسان وهناءته، والجدير بيانه، أنّ الفعل (يحتسي) غلب على استعماله في سياق الفرح والسعادة، فكانوا يسرحون ويمرحون في غابات المرج، وينتشون طرباً فيه، حيث يقول: (العبوشي، 1956، ص47)

نقتل الوقت سروراً وابتهاجاً
ونغني فيه ما ينشى المزاجا

ما ترى أنك عنا
وسبى مغناك منا
إن لي قلباً تغني
فيك يا مرجي الخصب

كان حب جنين - مسقط رأس الشاعر - يسكن في سويداء قلب الشاعر، تراوده في يقظته ومنامه؛ فيهمم بها مستحضراً ذكرياته؛ لتمثل أمامه بكل ما فيها من شوارع وأشجار ومعارك. (الزواتي، 1985، ع89، ص222)

فهي مصدر أنسه وفرجه، واشتعل نار الشوق لها في قلبه وأحاسيسه ومشاعره فهي مقلته، وبلسم مهجته وروحه، وشعاع فكره، وحبر كتابه الذي يكتب فيه، وتشتدّ خواطر العبوشي في حبه لـ (جنين) ويبقى فيض نورها يشع في عينيه، بوصفه شعاع الشمس الساطع، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص133)

لأنك أنتِ أفراسي وأنسي
يثير النار في قلبي وحسي
وبلسم مهجتي ومداد طرسي
يشع بفيضها كشعاع شمس

ليعيش غريباً مذموماً خارج الوطن، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص48)

اسكب الدمع فذا الدمع نفيس
عاش في دنياه مذموماً خسيس

الصرفية (نقاتل)، ويُذكر أنّ ثمة آيات وأحاديث وأقوالاً متأثرة وأشعاراً تحث الإنسان على حب الوطن والتمسك به، وعدم الخروج منه إلا لطلب أمر ما مؤقت، وليس دائماً.

يُلاحظ أنّ العبوشي كان قد وظّف الوصف في بواكير شعره ومنهلهما، وهو في المدرسة الابتدائية، ينادي تحبباً حمامة الوادي

أحمامة الوادي إليّ تعالي
وتلطفني فوق الغصون ورجعي

ويحمل المكان الذي يترعرع فيه الشاعر مدلولات عدة، وجدانية وتاريخية وفكرية، تلقي بوقعها على المتلقي؛ فنحدث تأثيرها عليه؛ ليتفاعل معها، ويعيش الأجواء التي نظم فيها الشاعر قصيدته. (دراوشة 2018)

وفي قصيدة معنونة بـ (أيها المرج) يبدي فيها شوقه وحنينه لأيام سجل فيها أجمل لحظات الصبا، والعيش والسرور والهناء في ساحات المرج، ويتضح ذلك من ألفاظ الشاعر التي تعكس تلك

أيها المرج الذي كنا به
نحتسي كأس الهنا في غابه

ويصدر الشاعر أناته في ابتعاده عن وطنه، وقد سُلبت ذكرياته التي طالما تغنى فيها، يشدو بتلك الذكريات السعيدة فوق ربوع وطنه المرج الخصب. ويحاول الشاعر أن يعبر عن سعادة ذكرياته، وأيامه الجميلة في المرج من خلال الألفاظ التي تنطق بالفرح والسعادة (السرور، الابتهاج، كأس الهنا، تغني، المزاج...)

ويُلاحظ أنّها تعبيرات تحمل دلالة الفرح والسعادة في وطن الشاعر. تنوعت أساليب الشاعر في التعبير عن مراده، فنراه يلجأ إلى الموشحات والمربعات والمخمسات التي تمثلت في الأناشيد التي تتلاءم مع موضوعات شعره، والتعبير عن أفكاره، «فكانت حلوة الرنين، عذبة النغم، شجية التأير» (عصيدة، 2012، ص185)، فنراه يقول في مقطوعة له: (العبوشي، 1956، ص47)

تناهى في الحنان إليك نفسي
أحبك من صميم القلب حباً
فإنك مقلتي وشعاع فكري
وكيف يغيب عن عيني نور

ويخاطب الشاعر نفسه مُطلقاً زفراء العشق والشوق والحنين، كمن يقف على أطلال ديار داسها الاحتلال، ويذرف الدموع حزناً على فراقها، فكان كمن يعق صحبه، وقد هجر وطنه وفارق بلاده؛

أيها الباكي على أطلاله
كل من عوق حمى أشباله

جرّاء البعد والفرق، وتختلط مشاعر اليأس والإحباط بالشوق والحنين في حوار الشاعر مع الطير، الذي صار يخاف على نفسه من حرقة دموع الشاعر، التي تثقل كاهله وتعيق حركته وطيرانه، إذا ما أصاب الشاعر مكروهاً، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 75)

أبث غرامي إلى من هويت
يمة صباحاً واني ذويت
تبلل ريشي إذا ما نعت

الأعداء بأقدامهم واستولوا على خيراته، ويتمنى الشاعر لو ظلّ غيباً لا يفقه شيئاً، ولا يشعر بالإحساس بما يحيط به، لهدأ باله، واستكان قلبه، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 48)

جثم الدهر على أنقاضها
حدت التاريخ عن أرياضها

الأمل واليأس في لقاء موطنه ومسقط رأسه جنين، يتضح ذلك من خلال تعبير الشاعر (أظن) فالظن يشير إلى الاعتقاد والشك، وهو عدم التيقن من الأمر؛ ليصل به الأمر أن يخاطب جنين، ويطلب منها المثل بين يديه؛ لأن أمله في اللقاء بها - في نظره - طويل الأمد، فالزمن لا يسير حيث يسير الشاعر، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 133)

وأشفق أن يكون غدي كأمسي
فإن الدهر والأحداث عكسي
بروض الحب حيث تهيم نفسي

فقد تمرقت مهجة الشاعر، ولم يعد يذوق طعماً للراحة في ابتعاده عن (جنين) وما حل بأرضها وناسها، ويسترجع الشاعر ذكرياته ليطوف في خاطره طيف اللاجئين الفلسطينيين اللواتي شردن من ديارهن، ليجرمه لذة النوم، حينما يصدح صوت المناجاة في أذن الشاعر، وهن يتساءلن مستنكرات: هل من ناصر ذي همّة يخلص حقّ المظلومين، ويعيد مجدهم؟ يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 84 - 85)

بعد ما مزقت مهجتي في (جنين)
واستحل الحرام فيها للعين
مذ شمت طيف اللاجئين الكئيب
يعيد للمظلوم مجداً سليب

ويبت الشاعر شوقه وحنينه للطير، جرياً على عادة الشعراء الذين يلتصمون فيه الحركة والحرية؛ ليبلغ شوقه وسلامه إلى أحباب له، وأصحاب تعلق قلبه بهم. ويشبه الشاعر رقة مشاعره بنسيم الصباح الذي يشع حيوية ونشاطاً، وقد جف وأصابه الذبول من

أطير الهزار بربك خذني
فجسمي رقيق أرق من النس
فقال أخاف دموع الغرام

يلجأ العبوشي إلى استعمال تقنية التعمية والكناية؛ من أجل التعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها وهو بعيد عن جنين ومرجها، وحالة الشوق والحنين إليها، فيقول أن الطير يرفرف فوق رأسه؛ ليسوق إليه أخبار المرج، وقد أصبح مستهاناً مستباحاً، دنسه

رائدي يا مرج أن أبكي طلوا
لهف نفسي لا أرى إلا فلوا
ررف الطير عليا
ونعى المجد إيا
لينتي عشت غيبا
بين مجذوم وديب

ويلاحظ أن غرض الحنين والشوق إلى الوطن يحتفل به معظم الشعراء المبعدين عن أوطانهم؛ إذ تهفو القلوب إليه مع هبوب كل نسمة، لتبقى أرواحهم معلقة بأوطانهم، ومهما طال البعد واسودت لياليهم، فلن تنال من قوتهم وعزيمتهم وإصرارهم على العودة، ولن تطفئ جذوة الأمل في قلوبهم. ويتلهف الشاعر حسرة على لقاء جنين، وتراوده المخاوف من أن يطول به البعد والفرق، ويكون الغد الآتي / المستقبل كالأمس المنصرم / المظلم، وتتأرجح مشاعره بين

حُرمت لقاءها يا لهف نفسي
تعالي ما أظن غداً لقانا
فإن تك فرقة فإلى لقاء

ظهر الحزن والشوق في الشعر الحديث ظهوراً جلياً بعد نكبة 1948م، وأدرك الشعراء عمق المأساة، وأبعاد هذه الفجيعة المؤلمة، وعواقبها الوخيمة، مع إحساسهم بالعجز والقصور أمام ما يحدث، ممّا عمق في وجدانهم مظاهر الحزن، وقد أحسوا بالضياع والغربة في أوطانهم. (الورقي، 2002، ص 256)

وانعكس الحزن على لغة العبوشي وألفاظه؛ لأنه عاش المعاناة، والبعد والحرمان عن الأهل والوطن، وأحس بمرارة الشوق والغربة،

لم أرح فيك اليوم أن أستريح
من بعد ما حل فيها القبيح
ما ذاق جفناي لذيذ المنام
أيقظني إذ قلن هل من همام

ولكنّه أضاف لهذا القول انزياحاً لطيفاً: إذ جعل الحبيب الأول هو الوطن، ويبقى الوطن حبيبة العبوشي الأولى في حياته، وهو القائل: (العبوشي، 1956، ص الغلاف)

وحبيبتي الأولى هي الأوطان

المستقل، وتكتسبُ آفاقاً وأبعاداً جديدة، تتلاءم وحالة الشاعر وشعوره، حسب ما يتطلبه السياق. (الصباغ، 1998، 172)

ويطالعنا مثل ذلك في تعبير العبوشي عن لهفته وشوقه وحنينه لدياره وربوع بلاده: مما يجسد حجم المعاناة التي أثقلت كاهله، حينما حاول أن يلقي همومه على الآخرين ليشاركوه ثقل المعاناة، وحين يتساءل عن احتمال العودة إلى ديار تسكن بين أحشائه، وقد حرّمه الشوق والحنين طعم النوم والراحة، وهو يذرف الدموع الغزيرة؛ لبعده وفراقه عنها، حتى صار يحتسي الآلام والمآسي كمن يحتسي الشراب؛ ليجد فيها راحة له، وتنقيساً عن كربته في الغربية، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 62)

هل رجوع	للمعنى الغريب	للربوع
فالضلوع	حنّت لذكر الحبيب	والدموع
مترعات الأسي	في كؤوس المسا	
أحتسيها عسي	تستريح الجفون	

التي تشير إلى اعتزازه وفخره ببلده، ويبدل نفسه وروحه وقلبه لأجلها، ويقدمها رخيصةً في سبيلها، لقد طال ليل الشاعر، وهجر النوم عينيه، وتفاقت جراحه التي تختلج مشاعر الشاعر وحده، وقد أخفاها عن حوله، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 129 - 130)

والمعالي أحب شيءٍ إليّ
فاقبلها فما تعز عليّ
كم كتمت الجراح عمّن لديّ

على وطنه وبلاده مستلهماً النصّ القرآني في قوله تعالى: « سلامٌ عليّ يومٌ ولدتُ ويومٌ أموتُ ويومٌ أبعثُ حياً » (مريم: 33) يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 130)

وعزائي بأن أموت أبيعاً
يا بلادي ويوم أبعث حياً

القرن الماضي والقرن الحالي؛ ليقذفوا قلوب الأعداء بسهام شعرهم ونثرهم، محاولين التعبير عن رفضهم للاحتلال، وطالبيين التخلّص منه، ولشحن همّة الشعب، وتحريضهم للدفاع عن أوطانهم، ومقاومة المحتلين، ونيل حرياتهم. (ضيف، د.ت)، ص 127.

ويتناص العبوشي تناصاً أدبياً مع أبي تمام في قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
وما الحب إلا للحبيب الأول

الناس تعشق في الحياة حبيبة

ويلحظ في قصائد المرحلة التي عاشها الشاعر أنه يسودها جو من الحزن الذي يسيطر على الشاعر، كما يطالعنا في قصيدة نظمها بعد أن أبعده عن وطنه فلسطين، وهو في بغداد سنة 1940م، ولعله يلحظ أن نغمة الألم الحزين والحنين والتحصّر على بلاده تسود فيها، ونستشف ذلك من قصيدة للشاعر بعنوان (كلنا مستعد). (ياغي، 2001، ص 302)

يخضع العبوشي - عند نظمه للقصيدة - للحالة النفسية التي تنتابه في تلك اللحظة؛ من أجل تشكّل الإيقاع المناسب لها، الذي يوجّه إلى السامع، فتخاطب مشاعره وأحاسيسه، وينم ذلك عن قدرة الشاعر على السيطرة على مفرداته وتراكيبه؛ لتخرج عن معناها

ومما حسن معرفته عن العبوشي أن عشقه وحنينه وحبّه لوطنه رافقه في كبره ومرضه، فقد نظم قصيدة تشتمل على هذه المضامين بعنوان (يا بلادي) يصرح فيها عن حبه وعشقه وتعلق قلبه في بلاده، التي تشكّل رمز المجد والعلا، ويبدو هذا العشق لبلاده وقربها من قلب الشاعر من خلال حرف النداء (يا) التي تستعمل لنداء القريب والبعيد، ومن خلال تكراره للكلمة (المعالي)

يا بلاداً عشقت فيها المعالي
هاك روحي ومهجتي وفؤادي
أسهر الليل شاكياً من جراحي

الصبر هو سلاح الشاعر الوحيد أمام هذه المصائب الضخمة الحجم، فيصبر صبره احتساباً لوجه الله - تعالى - ولنيل أجر الصابرين، وعزائه الوحيد أن يموت شريفاً حراً أبيعاً، ويقرأ السلام

حسبي الله إن بالله صبري
فسلام عليك يوم مماتي

الحث والتحريض على نصره جنين:

يكتمل منهج العبوشي في المقاومة الشعرية بدعوته وتحريضه على نصره جنين ومرجها وفلسطين كلها، ومثله في ذلك معظم الأدباء والشعراء والكتاب الذين عاصروا أحداثاً مريرة طوال

ويحاول العبوشي أن يستثير همّة الشعب ونخوتهم، ويحرضهم على نصره ووطنهم، من خلال استحضاره للشخصيات التاريخية التي يسجل لها التاريخ الدور البطولي في القيادة والتحرير، وليسيروا على خطاهم في تحرير بلادهم مثل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص44)

وصلاح وخالد من فداها
ومضاهم فقم وجالد عداها
حقق الله بالشباب مناهها

ويتغنّى الشاعر بماضي الأمة العربية المجيد، الذي يشهد له التاريخ بالعرف والكرامة، وتتغنّى بهم الأجيال في مدارسهم، وتنزل لهم القامات الباسقة واحتراماً وتقديراً، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص47)

قد كنت أقرأ في التاريخ أن لنا
وكنت أسمع من أستاذ مدرستي
مفاخرًا حدثت عن شأنها الكتب
بأننا عربٌ تعنو لنا الشهب

يصور فيها سير المعركة، وشن هجوم المحتل بغاراته الشديدة، وفيها أصيب الناس في الذهول، وحلت بهم المصائب من كل حدب وصوب، والموت يرفرف فوق تلالهم، والطائرات الحربية تقصف فوق رؤوسهم؛ لتندثر بالخراب والدمار، وصوت الرصاص يدوي فوق رؤوسهم وينهال عليهم كالمطر الغزير؛ ليتصدى لهم شباب جنين، ومن حولها بقوة وبسالة، وينهالون عليهم دون توقف، ويشبههم الشاعر بالسيل العباب، والعباب (سيلان الماء دون توقف وتنفس) وفي الحديث الشريف ما يؤكد هذه المعاني قوله - صلى الله عليه وسلم - : «مُصُوا الماء مصّاً، ولا تَعْبُوا الماء عباً» (معجم المعاني، مادة (عب) ويتعالى هدير أصواتهم؛ ليقفوا في وجه أعدائهم، ويصدونهم بقوة عزمهم، وسلاحهم البسيط، أمام

هجمات العدو بالنار، والمدافع والطائرات الحربية، والناس تتراخض من هنا وهناك؛ ليهجروا أوطانهم ذعرا ورهبة، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص63)

والمنايا تطوف فوق الروابي
لهب النار منذراً بالخراب
ث ولاح الوجوم في كل باب
من (جنين) وحولها كالعباب
ر كراماً وبالمدى والحراب
وجناح يطير فوق السحاب
ورحيل ودهشة وارتياب

ويستنهض الشاعر أشبال فلسطين للمواجهة؛ ليزحفوا للقاء العدو، ويمتطوا خيولهم، أو على الأقدام يمشن، وكله أمل بأنه حان النصر واللقاء في جنين وتلال نابلس، وقد اتحدوا وصاروا كتلة واحدة في حماسهم في التصدي للأعداء وهزيمتهم، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص102)

وفي استحضار الشاعر للتراث، وحسن توظيفه تتنوع الدلالات، وتشير إلى تواصل الشاعر مع الموروث، وتفاعله معه، وتأثره به؛ لينهل من ينابيعه، ويستلهمه في التعبير عن تجربته الشعرية، وعرض قضاياها بصورة شائقة ومختزلة، وتصبح الكلمة رمز لغوي يحمل في طياته دلالات عدة؛ فيكسب عمله الفني نوعاً من الشمول. (الياسين، 2005، 169 - 170).

يا شباب البلاد أحفاد عمرو
إن للعرب همّة وإباء
غاية العرب أن يعيشوا كراماً

فرضت طبيعة الظروف والمعاناة - في تلك المرحلة من حياة الشعب الفلسطيني - على الشعراء موضوعات شعرهم؛ لتحدث صداها وأثارها في نفوس الشعب، حتى صرنا نلمح ذلك في عناوين القصائد (وطن الشهيد، الأخذ بالتأثر، طلب النجدة والغدر، وغير ذلك) فمثل هذه العناوين تشد القارئ، وتمتلك أحاسيسه، ويكون لها وقع كبير على النفس، فتأسر قلوب السامعين. (ياغي، 2001، ص313-314).

العبوشي كان محرّضاً على المقاومة والقتال والوحدة في عناوين دواوينه، كما في عناوين قصائده التي تحفل بالتحريض والمقاومة؛ ففي ديوانه (جبل النار) كتب بعد العنوان مباشرة في صفحة الغلاف العبارة التعريفية بمضمونه الآتية: «ديوان القومية العربية ومصائبها وكفاحها» ويذكر أن عنوان أول قصيدة في الديوان كان (أمة الحرب). (العبوشي، 1956، ص43) وفي قصيدة أخرى في الديوان عينه كانت معنونة بـ (معركة جنين)

بينما الناس في أسى واكتئاب
وذوات الجناح تلقى علينا
وأيز الرصاص ينهل كالغيث
وشباب الحمى تساعوا أسوداً
يصدمون الغزاة بالعزم والنار
وسلاح العدو حديد ونار
بينما الأهل بين كَرّ وفرّ

واكب الشعراء الحياة السياسية في فلسطين، وراقبوا نضالها المستميت بعد تدهور حالة البلاد، وقد عاث فيها الاحتلال فساداً، وحملوا على عاتقهم مهمة التحرير، وبث روح الوعي والتمرد في نفوس أبناء شعبه؛ ليفضحوا نوايا المستعمرين، ويكشفوا عن دسائسهم. (ياغي، 2001، ص300 - 301)

وازحفوا خيلاً ورجلاً وقسي
في (جنين) في ذرا (نابلس)
نهزم الخصم بأسد حمس

أيها الأشبال من قومي ثبوا
قد دنا اليوم الذي يسعدنا
حيث نمشي كتلة واحدة

وفي قصيدة نظمها الشاعر لمهرجان النصب التذكاري في جنين سنة 1949م، يُسَطَّر فيها مشهداً لاندلاع المعركة في ظلام الليل الحالك، وصراع الأبطال في منطقة تل الخروبة التي تقع إلى الشمال من جنين - وتبعد عنها حوالي كيلو متراً تقريباً - في سرعتهم التي تبدو كالمطائرة المجنحة، وهم يتهافتون، وقد انهالوا على الأعداء، ووثبوا عليهم كالبرق الخاطف دون خوف أو وجل، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص103)

في تل (خروبة) والحرب تندلع
على حديد سراً كالبرق واندفخوا
على العداة فما هابوا وما فزعوا

ويتوقّف تأثيرُ الشاعر في قدرة إدراكه ونفوذه، وعمق إحساسه بواقعه ليعكس تأثيره في المتلقي، وكلما زاد وعي الشاعر وإدراكه لما يدور حوله، ويشاهده بنفسه، شعر القارئ براحة نفسية؛ لأنه يخاطب وجدانه، ويعمق إحساسه بواقعه، ويزداد تأثيره في السامعين، وكأنه يتحدث على لسان كل واحد منهم (ضيف، د.ت)، ص141.

في حنيس الليل والابطال تصطرع
رأيت جنداً بهالات وأجنحة
كانهم سكرات الموت قد وثبوا

ويصورُ الشاعرُ انقراضَ الأبطال وشجاعتهم من أبناء جنين وقراها على الأعداء في المعركة، وقد صبروا وربطوا دون فزع أو خوف، وثاروا عليهم من الخلف، ومن الأمام، وأردوهم قتلى، وفي قول الشاعر: جرعوهم دلالة على شدة الإيقاع والفتك بأعدائهم، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص104)

صبر الكرام ولّوا وما هلعوا
وأردوه هلاكاً منه قد جرعوا

شكل اغتصاب فلسطين وتشرد أهلها مأساة كبيرة للشعب الفلسطيني، وقد أحس شعراء الجيل الأول من النكبة بخطورة المرحلة، فجسدوا الماضي في أشعارهم، من نفس تمتلئ حزناً وألماً وحسرة، من واقع مرير عايشوه، يحرضون الناس على المقاومة والدفاع عن بلادهم. (الورقي، 2002، ص235)

لله أسد جنين والقرى صبروا
ثاروا على الخصم من خلف ومن قبل

وما نيل المعالي أو النصر إلا بالتضحية والفاء، وبذل النفوس رخيصة، فالمهر شرط أساس للعروس، وكذا النصر فلا بد له من تضحيات بالمال والنفس. يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص111)

ويبذل نفيساً، لا عروس بلا مهر

ومن يبتغ العليا يضح بنفسه

الشعراء للحث على الحرب. (فرهود، 1998، ص263)

جاء شعره نتاج الساعة التي أوحث بها، ولا يستقيم فهمه إلا في ضوء العوامل التي أحاطت به ودعت إليه». (قبش، 1970، ص620) فكان تعبيراً صادقاً عن حالته النفسية، وتصويراً لواقع مأساة شعبه التي عايشها منذ اللحظة الأولى «إنه الصدق في الانفعال، والصدق في نقل الانفعال». (قبش، 1970، ص600)

والالتزام في الشعر الوطني والقومي سمة أساسية من سمات هذا الشعر؛ لأنه يعبر فيه الشاعر عن تجربة مرة تنعكس نتائجها على الإنسانية ككل، فيأتي الالتزام نابعا من ذات الشاعر؛ ليحدث تأثيره في الجماهير قولاً وعملاً. (قبش، 1970، ص603-600) ومصدر هذه الفكرة - الالتزام - عند الشاعر، تأتي نتيجة لمعايشة الأديب واقعه، وإحساسه بمشكلات مجتمعه ومعاناته، ومن هنا، وصف الأديب بأنه «نقد للحياة» أو «تفسير لها»، ولذلك، لا بد للأديب من الاحتكاك بقضايا العصر؛ ليستطيع أن يحدث تأثيره في خلق الوعي، من خلال قوة التعبير. (إسماعيل، 1978، ص375)

استطاع العبوشي أن يهز مشاعر المتلقي من خلال نقل واقعه،

المحور الثالث: الخصائص الفنية لشعر العبوشي:

انصب شعر شعراء الأرض المحتلة في قضيتهم، واتخذوا من شعرهم الثوري وسيلة للدفاع عن بلادهم، ومواكبة أحداثها، فرفعوا صوتهم عالياً، وصوّروا قضيتهم التي عاشوها منذ طفولتهم. (السامرائي، 2002، ص81)

فالتجربة الشعرية هي: «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور، تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول بعبث بالحقائق، أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم». (هلال، 1997، ص383)

كان شعر العبوشي انعكاساً لتجاربه، وطبيعة حياته، فقد خاض أحداث بلاده، فأخذ يحث ويحرض على مقاومة المحتل، والدفاع عن الوطن، واستعادة مجد الأمة وتاريخها، ومن هنا امتاز الشاعر بالأسلوب الخطابي التقريري المباشر، ويشبهه كمال فرهود بشعر الرجز الذي كان ينظم عند العرب أثناء سير المعركة، فينظمه

القليلة، والأراضي القاحلة الجرداء.

- خامساً: تبدو ملامح القومية العربية الصادقة في شعر العبوشي للذول العربية التي اضطرت للسفر إليها، والإقامة فيها مثل الشام ومصر والعراق، مظهراً إخلاصه وانتماءه لأهلها، ومُعلماً من شأنهم، ومواقفهم النبيلة معه، وبخاصة الشعب العراقي الذي حضر جنوده البواسل للدفاع عن جنين في معركة جنين الكبرى 1948، وقد تركوا أوطانهم وديارهم لنصرة جنين وأهلها.

- سادساً: أرقّ البعد عن الوطن عامة، وحيناً ومرجها خاصة الشاعر، فأكثر من شعر الحنين الذي يعبر فيه الشاعر عن مدى الشوق الذي يعتريه، وألم الفراق الذي يكابده من جراء البعد عنها، لتشكل مصدر إلهام له في غيابها عنها.

- سابعاً: جاء شعر العبوشي انعكاساً لطبيعة حياته وتجاربه، وتصويراً لواقع شعبه ومأساته؛ فامتاز شعره بأسلوب خطابي تقريري مباشر، وملكية شعرية تخاطب العامة والخاصة، وبطول النفس الشعري في ديوانه (جبل النار). وسار على النهج التقليدي في نظمه؛ من حيث الوزن والقافية، والبحر العروضي الواحد.

- ثامناً: أفاد العبوشي كثيراً من إمكانات التناص بنوعيه الديني والتاريخي في توضيح ما ألم بجنين وأهلها من آلام وأحزان واحتلال. كما أنه أكثر من أساليب الخطاب المباشر كالأستفهام والنداء وأفعال الأمر.

التوصيات:

- أولاً: نلاحظ أن الدراسات التي كتبت حول العبوشي كانت قليلة، قياساً إلى إنتاجه الأدبي، وحبذا لو يوجه الدارسون والباحثون عنايتهم لتناول هذا الشعر وإنصاف شاعريته.

- ثانياً: تقريب الذائقة العربية ولا سيما الفلسطينية من شعر العبوشي؛ ذلك، بأن يُقرّر شعره في الكتب التعليمية في المدارس العربية والفلسطينية والجامعات؛ من أجل فهمه وتذوقه وتقدير جهده.

- ثالثاً: العمل على إبراز مجموعة الخطوات الوطنية والإجراءات الشعرية الأدبية التي انماز فيها شع العبوشي من غيره، وتشكل منها منهجه الخاص به، ويمكن تحقيق ذلك، عن طريق عقد ندوة متخصصة في إظهار منهج العبوشي الأدبي والوطني.

- رابعاً: دعوة الباحثين إلى دراسة دلالة أساليب الشاعر اللغوية والفنية دراسة مستقلة في أبحاث علمية تظهر السمات البنائية والدلالية لشعر العبوشي.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- إسماعيل، عز الدين. (1978). الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره المعنوية، ط3، دار الفكر العربي.
- جبر، أحمد عبد الرؤوف. (2017). الاتجاه القومي في شعر برهان الدين العبوشي، رسالة دكتوراة غير منشورة، إشراف أ. د. محمد علي الشوابكة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان.

وصدق إحساسه، في ملكة شعرية تخاطب العامة والخاصة، ولا يتحقق ذلك إلا في امتلاك « قدرة شعرية تفوق المألوف؛ لتنقل هذه المشاهد اليومية إلى عالم الشعر بقوة الإحساس والتصوير الفني». (هلال، 1997، ص387).

امتلاً ديوان العبوشي بالمفردات التي تمتلئ بالحزن والأسى على ما أصاب وطنه، نلاحظ ذلك في مفردات أبيات القصيدة، وحتى في عناوين قصائده مثل: المرج الحزين / معركة جنين / الوطن المبيع. (عصيدة، 2012، ص159)

كان للظروف التي أحاطت بالشاعر، والعوامل النفسية والاجتماعية والزمنية تأثير كبير على طول النفس الشعري عند العبوشي. (العبوشي، 1956، ص163) ويبدو طول النفس الشعري عند العبوشي في ديوانه (جبل النار) في غير قصيدة، ومنه على سبيل المثال، قصيدة: (الوطن المبيع، المرج الحزين، حي العراق).

ويؤكد العبوشي مدى انتمائه لوطنه من خلال استيحاءه لعناصر الطبيعة، ودمج اللون والحركة في قوله: (العبوشي، 1956، ص163) (العبوشي، 1956، ص50)

مرغ جبينك في ظهور ترابه
واسجد فإن الله في محرابه.

برهان الدين العبوشي شاعر ومناضل، متحمس لقضيته، واكب أحداث بلاده في قصائده، وكان دائم السعي؛ لنصرة الوطن وتحريره من نل الاحتلال. ومن أهم المحاور التي تطرق إليها الشاعر في ديوانه (جبل النار) موضوع الدراسة: التنديد بالسماسرة - آل سرسق بالتحديد - الذين مهدوا الطريق لليهود بالسيطرة على أراضي مرج ابن عامر. والتنديد بالمستعمرات اليهودية التي أقيمت على أراضي المرج، ثم بيان قدسية المكان - جنين - في قلب الشاعر، وحث الشعب وتحريضه لنصرتها وتحريرها. ويشيد الشاعر بإخوانه العراقيين الذين هبوا لنصرة جنين والدفاع عنها في حرب 1948م، ويبث الشاعر مشاعر الشوق والحنين لمسقط رأسه جنين وقد حال البعد بينهما؛ ليقضي بقية حياته في العراق ويلقى حتفه فيها.

النتائج:

توصلت الدراسة من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة الثلاثة إلى النتائج الآتية:

- أولاً: العبوشي شاعر السيف والقلم، رفع راية الكفاح المسلح في وجه المحتل، جاء شعره صدى لأحداث بلاده، وخلاصة تجارب مريرة عايشها الشاعر وشعبه، يحمل هموم وطنه السليب أينما حل، معبراً فيه عن عواطفه، وما يجيش في صدره.

- ثانياً: شغلت جنين ومرج ابن عامر مساحة كبيرة في ديوان الشاعر، فهي مسقط رأسه الذي نشأ فيه، وقد عبر في أشعاره عن صدق انتمائه لوطنه ومجتمعه وأحبائه.

- ثالثاً: يبدي الشاعر استيائه من السماسرة المتخاذلين الذين مهدوا الطريق للعدو للاستيلاء على أراضي المرج، وقد فرطوا بأوطانهم تحقيقاً لمصالحهم الشخصية، وجمع الأموال.

- رابعاً: يندد الشاعر بالمستوطنات التي أقيمت على أراضي مرج ابن عامر المزدهرة اليانعة، ولم يبقوا لأصحابها غير الشغاب

English References:

*Holy Quran

- Ismael Izzadin. (1978). *Alsha'r Ala'rbi Alma'asr. Kdhayah Wihwahrh Alfniah Walma'nouiah, Dar Al Fikr, (3rd edition).*
- Jaber, Ahmad Abdera'of. (2017). "The Nationalist trend in Burhan Adin Alaboushi", PHD dissertation, supervised by Pro. Mohammad Ali Ashwabkeh, The World Islamic Science & Education University, Amman.
- Darawsheh, Amin. *The place and its implications in the poetry of the Palestinian poet Jamal Sala', 29. Janunaey.18 (websit)(alquds.co.uk).*
- Zir'in and its Geographical framework, Abdallah Fayad, 15th Decemeber, 2013. www.palestinermembered.com/ginin/zirin/story
- Zawati, Helmi, *Burhan Adin Alaboushi a Poet and a Preacher of the Holy War, a research published in Athaqafah Magazine. A magazine that is issued by Ministry of Culture and Tourism in Algeria-issue 89, Moharram 1405H-1406H, 1985.*
- Asamarai, Ibrahim. (2002). *The Linguistic structure of the Modern Arab Poetry, Dar Al Shoroq for Publishing and Distribution, Amman, (1stedition).*
- Shurrab, Muhammad. (2005). *Muhammad, Hassan, poets of Palestine in the Modern Era, Al Ahleya for Publishing and Distribution, 1st, edition.*
- Asabbagh, Rmadan. (1998). *An Artistic study in the Modern Arabic Poetry Criticism, Dar Al Wafaa for Printing and Publishing, Alexandria, 1st edition.*
- Sadoq, Radi. (2000). *Palestinian Poets in the 20th Century, Arab Institute for Research and Publishing, Beirut, 1st edition, 2000.*
- Dayf, Shawqi. (n.d) *Studies in Modern Arabic Poetry, Dar Al Maaref, Cairo, 9th edition.*
- Abbas, Ihsan. (2001). *Trends of Modern Arabic Poetry, Dar Al Shoroq for publishing & Distribution, Amman, Jordan, 3rd edition.*
- Al-Aboushi, Burhan Al-Din. (1956). *Jabal Al-Nar Diwan, Limited Islamic Firm for Distribution & Printing, Baghdad, 1st edition.*
- Iraq, Abdelbadie. (2000). *The Image of martyre in the Palestinian Modern Poetry, Al Aswar Institution, Akka, Modern Arabic Press, 1st edition.*
- Qubash, Ahmad. (1970). *The History of Modern Arab Poetry, Damascus, (D,N) 1st edition.*
- Asida, Shams Adin Ghannam Abdelqader. (2012). *Burhan Al-Din from a Literary Perspective, master dissertation supervised by Dr. Adel Abu- Ashma. Al Najah National University, Nablus.*
- Farhoud, Kamal Qasem. (1998). *Encyclopedia of Modern Arabic Literature figures, Kul Shee, Haifa.*
- Laila, Nqaz, Nbila Naqaz. (2019). *The places in Fadwa Tuqan's Poetry (Alail wa Alfursan as a model), master dissertation supervised by Dr. Jadi Omar, University of Mohammad Boudiaf- Msila, Algeria.*
- Mahmoud. I. (Burhan Adin Alaboushi a Poet of a pen and sword), *Al Saqqar, Ibtisam Marhon, Iraq in Alaboushi poetry, a paper written by Ibtisam Tahrir and edited by Dr. Kaled Jber and Dr. Nabil*
- Hasneen in Petra University symposium./Website: diwanalarab.com/.

- دراوشة، أمين. (2018). *المكان ودلالته في قصائد الفلسطيني جمال سلسع، (on-line) متاح: (www.alquds.co.uk)*
- فايد، عبد الله. (2013). *زرعين في إطارها الجغرافي (on-line) متاح: www.palestinermembered.com/ginin/zirin/story*
- زواتي، حلمي. (1985). *برهان الدين العبوشي شاعر وداعية الجهاد المقدس. مجلة الثقافة - مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر - السنة الخامسة عشرة، العدد (89).*
- السامرائي، إبراهيم. (2002). *البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر. دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان، ط(1).*
- شراب، محمد محمد حسن. (2005). *شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1.*
- الصباغ، رمضان. (1998). *في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط(1).*
- صدوق، راضي. (2000). *شعراء فلسطين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.*
- ضيف، شوقي. (د.ت). *دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط(9).*
- عباس، إحسان. (2001). *اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3.*
- العبوشي، برهان الدين. (1956). *ديوان جبل النار. مطبعة الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة: بغداد، ط1.*
- عراق، عبد البديع. (2000). *صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر. مؤسسة الأسوار: عكا. المطبعة العربية الحديثة، ط1.*
- عصيد، شمس الدين غنام عبد القادر. (2012). *برهان الدين العبوشي أديباً.. رسالة ماجستير، إشراف: أ.د. عادل أبو عمشة. جامعة النجاح الوطنية: نابلس.*
- فرهود، كمال قاسم، (1998). *موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث. مكتبة كل شيء، حيفا.*
- قبش، أحمد. (1970). *تاريخ الشعر العربي الحديث: دمشق، (د.ن)، ط1.*
- ليلي، نقان، نبيلة نقان. (2019). *المكان في شعر فدوى طوقان. (ديوان الليل والفرسان أنموذجاً) رسالة ماجستير. إشراف: د. جادي عمر. جامعة محمد بوضياف المسيلة: الجزائر.*
- محمود، أ. (n.d). *برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، (on-line) متاح: www.diwanalarab.com*
- الصفار، أ. (n.d). *العراق في شعر العبوشي. برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، (on-line) متاح: www.diwanalarab.com*
- الورقي، السعيد. (2002). *لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1.*
- الياسين، إبراهيم منصور محمد. (2005). *استيحاء التراث في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) 400 - 539هـ. رسالة دكتوراة: جامعة اليرموك، إشراف: أ. د. حسين خريوش.*
- ياغي، عبد الرحمن. (2001). *حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة .. حتى النكبة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط(2).*